أحمد على خضر

قاومت البطالة بأسلوب مبتكر، كنت أجمع عشرة عمال أو أكثر ندخل أحد المطاعم نأكل حتى نشبع ثم نعلن: لا نقود معنا، نحن متعطلون، ومن المطعم إلى قسم البوليس نهتف ويتجمع الناس حولنا فى مظاهرة ممتعة.
«أحمد خضر فى حواره معى»

عامل ابن عامل وجده عامل، أبوه تخرج فى الثانوية الصناعية ببولاق والتحق بعنابر السكة الحديد حيث كان الجد يعمل هو أيضا.

الأب وطنى متحمس، كان عضوا فى صفوف الحزب الوطنى، ثم خاض غمار ثورة ١٩١٩ وفديا، وشارك فى قيادة عمال العنابر إبان الثورة وبعد عودة سعد من المنفى عاد بعض العمال إلى العمل ورفض البعض، استمروا مضربين مطالبين بمطالب تخصهم كعمال (أجور أزيد - ساعات عمل أقل - رعاية طبية.. إلخ) وصمم على أفندى على قيادة المضربين فى العنابر وفصل من عمله فكيف يطعم الأولاد؟ أخذهم وسافر إلى السودان ليعمل فى عنابر السكة الحديد هناك، ويجد عملا مريحا، لكن الثورة تلاحقه فى السودان فيشارك هناك فى ثورة ١٩٢٤ فيفصل، ليعود بأولاده إلى مصر، ويجد عملا فى التفتيش الملكى بأنشاص، لكنه يحرض الفلاحين على المطالبة بحقوقهم فيفصل، ولا يجد عملا، سوى أن يعمل باليومية فى أى مكان، يوما يعمل وعشرة لا يعمل، ثم يجد عملا لائقا كرئيس لورش الصيانة بشركة غزل المحلة، وذات يوم وزع الشيوعيون هناك منشورا عام ١٩٤٨ قالوا فيه إن المناضل الشيوعى أحمد خضر قد أطلق عليه الرصاص ومات فى المعتقل، الأب أصيب بجلطة فى المخ أعجزته عن الحركة ومات، وكان الخبر كاذبا.

ونعود إلى الفتى أحمد، تخرج فى المعهد العلمى الصناعى قسم نسيج عام ١٩٣٧، تنقل هو أيضا بين مصنع وآخر وفى كل مصنع يحرض العمال ويفصل، وذات مرة كان

يقود إضرابا فى مصنع كسم وقبانى للنسيج فاقترب منه زميل له فى الإضراب ودعاه إلى مقابلة أحد الأشخاص يريد مقابلته كزعيم عمالى، والتقى مع حلمى حامد «ميكانيكى طيران» واستطالت النقاشات فى جلسات متعددة، فتح حلمى أمامه آفاق نضال جديد من أجل الطبقة العاملة ككل ومن أجل الشعب كله. وفى عام ١٩٤٣ أصبح أحمد شيوعيا، ويواصل أحمد معاركه العمالية بمفهوم جديد ويقود إضرابا جديدا فى مصنع «كسم وقبانى» فيصدر قرار بفصله فى سبتمبر ١٩٤٤ ويصدر القلم المخصوص «البوليس السياسى» قرارا بمنعه من العمل فى أى مصنع بشبرا الخيمة ويبقى ٢٥ شهرا بلا عمل فقرر العمال أن يتبرعوا بقروشهم لأحمد. وفى كل شهر كان يعيش على ما يتبرعون به «يخصم من التبرع خمسة جنيهات يتبرع هو بها للتنظيم، ولأنه بلا عمل كرس كل وقته للنضال العمالى ولتجنيد رفاقه من العمال وأصبح وعن جدارة واحدا من أهم الكوادر العمالية فى التنظيم (الحركة المصرية للتحرر الوطنى)، ولأنه بلا عمل فقد كانت فرصة أمام القلم المخصوص لأن يطارده بتهمة التشرد وألقى به فى حجز قسم السيدة زينب لكن العمال فجروا قضيته مطالبين بالتضامن معه، وكتب عبدالرحمن الشرقاوى عنه قصيدة اتخذها هو مقدمة لدفاعه عن نفسه. وفى جريدة «الوفد المصرى» كتب د. محمد مندور مقالا دفاعا عنه، وأثار النائب حنفى الشريف «وفدى» قضيته فى مجلس النواب ويحكم القاضى بالإفراج عنه مسجلا فى الحكم إدانة للبوليس. ويجد أحمد عملا فى المنيا مديرا لمصنع نسيج صغير (٢٠ نولا) ويكرس وقته لبناء قاعدة حزبية وعمالية فى المنيا ويبنى للتنظيم قواعد فى محلج هندرسون وعمال الأتوبيس وعمال الرى وفى جمعية الشبان المسلمين وجمعية الشبان المسيحية وتصبح المنيا على يديه قلعة للنشاط الشيوعى وفى ١٥ مايو ١٩٤٨ تعلن الأحكام العرفية وتحضر مجموعة ضباط من القاهرة لاعتقاله، كان فى المنيا بعيدا عن صخب الانقسامات، وما أن دخل من بوابة المعتقل حتى اكتشف أن حدتو قد تعرضت لانقسامات عدة سأله المنقسمون هل أنت مع حزب الطبقة العاملة أم مع حزب القوات الوطنية الديمقراطية ونمضى لنقرأ ما قاله أحمد «وطبعا قلت مع حزب الطبقة العاملة قلتها بحماس ودون أى تردد وهكذاانقسمت عن منظمتى التى تربيت وناضلت فيها وأصبحت عضوا فى تنظيم «العمالية الثورية» ثم قائدا فيه وفور الإفراج عن المعتقلين (عام ١٩٥٠) هرب جميع البرجوازيين الصغار بعد أن رفعوا أعلى الشعارات وأكثرها تشددا

وسافر كبارهم فى صفقة مع وزير الداخلية «فؤاد سراج الدين» إلى أوروبا فى منح لدراسة الدكتوراة رتبها الوزير لهم، ووجدت نفسى ومعى مجموعة صغيرة من العمال وحدنا، بعد أن تلقنت درسا مريرا مفاده أن الثورية ليست شعارات ولا تشنج وإنما هى الاستمرارية فى النضال (نقلا عن مخطوط كتبه أحمد خضر بناء على طلبى)، وبدأ أحمد من جديد مع زميلين فقط كانوا كل من تبقى من هوجة الانقساميين والباقون.. البرجوازيون الصغار هربوا، جلس الثلاثة وقرروا تأسيس تنظيم جديد أسموه «النجم الأحمر» ويخوض التنظيم معركة العمال المتعطلين بأسلوب مبتكر، جمعوا العشرات منهم يأكلون فى مطعم ولا يدفعون ويهتفون مطالبين بخبز أو عمل وينتهى الأمر بعلقة أو محضر، وذات يوم تحرك ومعه جيش من العاطلين توزعوا على أربعة عشر مطعما فى ميدان العتبة وما حوله وإلى قسم البوليس خرجت المجموعات لتلتقى معا وتلتف حولها جموع من المواطنين فى مظاهرة كبيرة إلى قسم الموسكى حيث محامون يساريون ينتظرونهم للدفاع عنهم، وتتفجر القضية على صفحات العديد من الجرائد وبدأ الحديث عن ضرورة «التأمين ضد البطالة»، ولكن كان للأمن رأى آخر فهذا الصوت المشاغب يجب أن يصمت، فقبض عليه وقدم للمحاكمة ودافع عن نفسه دفاعا سياسيا شجاعا أدان فيه النظام بأكمله مطالبا للطبقة العاملة بحقوقها داعيا لإقامة دولة العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين وحكم عليه بالسجن خمس سنوات، وفى السجن شارك بحماس شديد فى معركة توحيد الشيوعيين فى حزب واحد وكان أحد المساهمين الأساسيين فى بناء الوحدة، ويفرج عنه فى ١٩٥٧ ليصبح واحدا من أهم الكوادر فى الحزب الوليد ومسئولا عن القاهرة وشبرا الخيمة ثم مسئولا عن أسيوط وسوهاج، وفى مارس ١٩٥٩ يقبض علينا معا فى أحد اللقاءات ويحكم علينا معا بالسجن خمس سنوات ويفرج عنا معا فى أبريل ١٩٦٤.

وعندما يتأسس حزب التجمع يكون أحمد على فراش مرض طويل وتأتينى منه رسالة قال فيها «وأخيرا.. وبعد قيام حزب التجمع أعلن انضمامى إليه كحزب يدافع عن الشعب وعن الاشتراكية وسأظل بقية حياتى عضوا فى التجمع ومدافعا تحت رايته عن الاشتراكية وعن العمال». ويظل أحمد يراسلنى بالبريد كل عدة أيام يتابع ما يجرى ويقول رأيه ويجدد العهد حتى يرحل.